**المحاضرة الخامسة**

**فن الرسوم الجدارية الاشورية**

ازاحت الاشكال المتعارف عليها في التشكيلات الرافدينية السابقة، واستبدلتها بأنظمة اشكال جديدة، الامر الذي وسم الرسوم الاشورية بسمة التفرد في خارطة التشكيل العراقي. تفاعلت في تكوين سمات الأسلوب عوامل شتى أهمها هيمنه السلطة الملكية والمعتقدات الدينية وغيرها، والوسائط المادية المستعملة في إنجازها، وتقنيات اظهار أنظمتها الشكلية على السطوح البصرية. ولعل تفرد الرسوم الاشورية بجميع مكوناتها التركيبية المادية والمعنوية من غيرها. وحين اقتحمت التكوينات الشكلية الملونة بوابات القصور تموضعت بوظيفة توثيق نشاطات الملوك الحياتية والدينية التي ادلجت مقولاتها نحو خطاب التعالي بمقام الملوك الذين يعّدون بمثابة المركز في الفكر الاشوري.

فضل الاشوريون فن الرسم الجداري بنفس التفضيل الذي مالو به للنحت البارز. فبهذين الفنين يمكنهم تغطية سطوح واسعة من جدران القصور بمأثر ملوكهم وعظمائهم ولسوء الحظ الاعمال الباقية من الرسوم ما هي الا جزء صغير مما كان موجود قبلا. فقد أفنى الزمن النسبة الأعظم من فنون الرسم الجداري أكثر مما فعله بالفنون الاخرى ولسبب واحد هو ان الالوان تخفق في مقاومة تأكل الارض ورطوبتها.

**السمات الخاصة في فن الرسوم الاشورية:**

كان الاشوريون يميلون الى طلاء الارضيات (ارضيات الرسوم) بطلاء خفيف من الطين عند إعدادها للرسم، ولا يستطيع المرء الا ان يدهش للسبب الذي كان يدعو الرسامين الى الالتجاء الى ارضية هشة تماما مثل لصاق الطين، في الوقت الذي كان فيه الجص متوفرا ويمكن ان يضمن نتائج أفضل. ففي المقر الاقليمي الاشوري في تل بارسيب (تل احمر)، كشف عن نتاج هائل من الرسوم الجدارية يصل طولها الى اربعمائة قدم من الجداريات الملونة، وقد ثبت استحالة فصلها عن الجدران لكونها مرسومة على طلاء طيني خفيف يتعرض للانهيار عند اول لمسة، ومع ذلك فان النسخ التي رسمها الفنان (لوسيان كازفو)، توفر لنا وثيقة ذات قيمة بالغة عن فن كان في مجالات كثيرة اصيلا بشكل رفيع ومن صنع فنانين ماهرين ومتخصصين حقا.

كان الرسام الاشوري يفضل ترك الارضيات بلونها الطبيعي دون ان يلونها، اما وحدات المشاهد فكانت تخطط بطريقة حرة دون وجود شبكات خطوط التربيع الهادية في الرسم والتي استخدمها الرسام البابلي ، فنحن هنا امام رسامين مهرة من الدرجة الممتازة ، حيث تخطط الخطوط الخارجية للأشكال اولا باستخدام اللون الاسود والاحمر قبل وضع الالوان ، ومن ثم ترسم تفاصيل الاشكال الداخلية بالألوان المرغوبة في الجو اللوني العام للرسوم الجدارية الاشورية واكثرها شيوعا الاحمر والاسود والابيض والازرق، واغلب هذه الالوان من المغرة ( مغرة ) الترابية التي يمكن التلاعب بدرجتها اللونية باستخدام الحرارة قبل الاستعمال ومقدار الكمية المذابة منها في الماء كما فعل ذلك الرسام البابلي من قبل ، اما اللون الازرق المفضل جدا في الجداريات الاشورية فانه مقارب جدا للكوبالت.

تشتهر رسوم الاشوريين الجدارية بانسجام وتجانس الوانها ذلك لان الرسام الاشوري قد اتقن اسلوب تدرج الالوان في الرسم من الدرجة الشفافة الى الدرجة النصف معتمة حتى الالوان الداكنة ، فقد اظهر جمالا أخاذا في استعمال اللون الواحد بدرجات مختلفة من الحدة ، ونوع ذلك اكثر بمعرفته طريقة مزج الالوان مع بعضها للحصول على الوان اخرى ، كمزج اللون الاحمر مع الابيض للحصول على اللون الوردي، وتشدنا مشاهد الرسوم الجدارية الاشورية اكثر الى جمال الخطوط التي نفذت بها وحداتها البشرية والحيوانية، وبالمعالجة الناجحة وربما المبالغة في توضيح عضلات اجسامها، وبالدقة المتناهية في توضيح تفاصيل نسيج الملابس وابراز حليتها التزيينية كالزركشة والاهداب بالوانها الحقيقية الجذابة.

الامر الذي يثير الدهشة هنا ، هو اختفاء المواضيع الحربية في مواضيع الرسوم ، ربما لضياعها، او لأن الملوك قد إكتفوا بذلك الزخم الكبير الذي مثلوه باسلوب النحت البارز على الحجر، الذي يمكن ان يقاوم الزمن وتقلباته مدة اطول مما تفعله الرسوم، وبشكل عام تصور رسوم الاشوريين ثلاثة مواضيع رئيسة، هي : المشاهد الدينية التي يظهر فيها الملك بوقفات تعبدية امام الالهة، وتظهر فيها كذلك اشكال بشرية مجنحة تقتاد حيوانات لتضحيتها في حضرة الالهة ، او تصور اشكالا بشرية تمسك بادوات التطهير الديني ، وقد اوكلت اليها مهمة تطهير زوار القصر برفقة الثيران المجنحة.

       اما الموضوع الرئيس الاخر فيمكن تسميته بالمواضيع الدبلوماسية وتصور مشاهدها احداثا من حياة الملوك الرسمية، فقد كان الملوك حريصين على احلال العدالة وعقد الاجتماعات المهمة وسماع الشكاوى وتقبل الولاء والجزية من وفود الامم المغلوبة.